

أضواء البيان

@ 48 مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَسْرَةِ الَّذِينَ فِي الْأَيْدِي تَمَامِي وَالْمَسَاكِينِ وَالْبَنِي السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ { فبدأ بالوالدين براً لهما ، وثنّى بالأقربين . . وقال صلى الله عليه وسلم : (الصدقة على القريب صدقة وصلة ، وعلى البعيد صدقة) ثم اليتامى وهذا واجب إنساني وتكافل اجتماعي ، لأن يتيم اليوم منفق الغد ، وولد الأبوين اليوم قد يكون يتيماً غداً ، أي أن من أحسن إلى اليتيم اليوم قد يترك أيتاماً ، فيحسن عليهم ذلك اليتيم الذي أحسنت إليه بالأمس ، والمسكين وابن السبيل أمور عامة . . وجاء بالقاعدة العامة التي يحاسب الله تعالى عليها ويجازي صاحبها { وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ } أي مطلقاً { فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ } ، وكفى في ذلك علمه تعالى .

أما موقف المنفق وصورة الإنفاق : فإن هذا هو سر النفقة في الإسلام ، وفلسفة الإنفاق كلها تظهر في هذا الجانب ، مما تميز به الإسلام دون غيره من جميع الأديان أو النظم . . لأنه يركز على الحفاظ على شعور وإحساس المسكين ، بحيث لا يشعره بجرح المسكنة ، ولا ذلة الفاقة كما في قوله تعالى : { الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَذَكَّرُونَ مَا آذَنُوا أَنْ يُنْفِقُوا مَذَكَّرًا وَلَا أذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } . . ثم فاضل بين الكلمة الطيبة والصدقة المؤذية في قوله تعالى : { قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَذَكَّرُهَا أذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ } يعطي ولا يمن بالعتاء . .

وأفهم المنفقين أن المنفق والأذى يبطل الصدقة { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْإِسْخَالِ } لما فيه من جرح شعور المسكين . . وقد حثَّ على إخفائها إمعاناً في الحفاظ على شعوره وإحساسه { إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَذَرِعِمَّهَا هِيَ } أي مع الآداب السابقة { وَإِنْ تَخْفُواهَا وَتَوَدُّوا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ } أي لكم أنتم في حفظ ثوابها . .

وقد جعل صلى الله عليه وسلم من السبعة الذين يظلهم الله تحت ظله يوم لا ظل إلا ظله (رجل تصدق بصدقة فأخفاها ، حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه) ، وكما قال تعالى : {

الَّذِينَ

